لسياسة اسرائيل المتعنّتة، واقناع هذه الاخيرة بمصلحتها في التسوية، وفي علاقات طبيعية مع جيران معتدلين. وفي هذا الاطار، نظرت مصادر اميركية مسؤولة، بشيء من الخبث، الى ان تراكم الانتقادات الاميركية الموجهة نحو تل ـ أبيب، انما تعني ان يتجاوب الطفل المدلل مع مصادر اهتمام وقلق أبويه. وترى المصادر المسؤولة نفسها، ان هدف هذه السياسة هو اقناع اسرائيل بالاقتراحات الاميركية لحل النزاع في المنطقة عبر ثلاث قنوات متوازية، هي: أولاً، طمأنة اسرائيل بأن واشنطن ستبقى حامية لها في وجه الضغوط الدولية، وانها لن تسمح بأن يؤدي الضغط الى عزل اسرائيل؛ ثانياً، الاستمرار في انتقاد اسرائيل، علناً، على أمل ان تتحرك الساحة الاسرائيلية الداخلية وتضغط على الحكومة الائتلافية الجديدة للكفّ عن ممارسة «القبضة الحديدية»، خوفاً من ان تلحق أذى بالعلاقات بين الطرفين؛ وثالثاً، تحذير اسرائيل من عواقب مواقفها على مستقبل المصالح الاميركية في الشرق الاوسط.

على هذا الاساس، من المبالغة القول ان القرار الاميركي بفتح الحوار مع المنظمة، قد فتح صفحة «خصام» مع اسرائيل لا رجعة منه؛ فالثقة ما زالت متوفرة والمصالح جمّة، حيث يرى فريق مسؤول في الادارة الاميركية ان اسرائيل ما تزال رصيداً استراتيجياً مضموناً لا غنى عنه، وقاعدة ثمينة لمواجهة السوفيات والحركات الراديكالية في المنطقة، وقلعة حصينة مستقرة في بحر من عدم الاستقرار. وخلص هؤلاء، من ذلك، الى ان ليس من مصلحة الولايات المتحدة ازعاج حليف بالضغط عليه، سواء لجهة الانسحاب من اراض احتلها، أو ممارساته ضد السكان العرب، من أجل ارضاء أنظمة غير مستقرة أساساً.

ومهما يكن الامر، فان بدء الحوار اسقط الفكرة الاميركية السائدة، تقليدياً، بأن م.ت.ف. «لا تمثّل أحداً»، وفتح باباً جديداً وهامّاً على العلاقة الاميركية ـ الفلسطينية. كذلك، فان الحوار مع المنظمة يوصد الباب الذي حاولت اسرائيل ان تبقيه مشرعاً، لايجاد بديل من المنظمة، ليقوم بالمفاوضات، ويزيل، أيضاً، دور الاطراف الاخرى، إن تمثّلوا في دول أو في افراد.

ولكن، اذا كان السلام في الشرق الاوسط يتطلب وساطة اميركية، واعترافاً اميركياً بـ م.ت.ف. فان اسرائيل باتت تخشى ان يكون «بيض» السلام في «السلة» الاميركية وحدها؛ اذ ان مخاطر حصر السلام بطرف واحد لا تقل عن مخاطر توزّعها.

في هذا الاطار، يمكن تحديد حجم وطبيعة «القبضة الحديدية» وأهدافها من خلال ما تشير اليه في مرحلة محددة. فالقبضة الحديدية هي التعبير العسكري عن الوفاق بين الليكود والعمل على شكل حكومة ائتلافية جديدة. ولأن الارض المحتلة هي القضية المركزية في برامج الكتلتين، ولأن البرامج مختلفة، فليس هناك من وسيلة للاتفاق سوى ابقاء تلك المناطق ساخنة وملتهبة، وبالضرورة هي هكذا حين تصطدم فيها برامج الحركة الوطنية الفلسطينية والليكود والعمل، بالبرامج الاقليمية والدولية.

ومن منظور مختلف، تبدو القبضة الحديدية كمؤشر وكأداة تنفيذ، في الوقت عينه، الى ما تفرزه العلاقة الاميركية ـ الاسرائيلية، بشأن مستقبل الارض المحتلة. فمنذ ان اعلن شولتس مبادرته الداعية الى ايجاد حل للمناطق المحتلة في اطار اعادتها الى الاردن، وسياسة الحكم العسكري توازن بين الضغط الاميركي لتنفيذ المبادرة الاميركية، وبين محصلة الاتفاقات التي يفرزها المسرح السياسي الاسرائيلي.

من هنا، دعا بعض الاوساط الاسرائيلية الى زيادة القمع في الارض المحتلة تحت عنوان «الوقاية خير من العلاج»، منوّهاً الى ان ضرب من اسماهم بـ «المخربين» و«المتطرفين» سيقطع الطريق